المقال السابع

الإرساليات البروتستانت في القرن التاسع عشر

يعتبر القرن التاسع عشر، قرن إزدهار الإرساليات البروتستانتية، فمنذ الإصلاح البوتستانتي في القرن السادس عشر لم يكن هناك اهتمام من الكنيسة بالخروج إلى العالم ونشر الإنجيل حسب وصية السيد المسيح: " اذهبوا إلى العالم وأكرزوا بالإنجيل...". كانت الكنيسة الوليدة تحاول أن تثّبت أقدامها ضد معارضيها، الذين حاربوها بكل الوسائل. ولكن الوضع تغير في نهاية القرن (18) وبداية القرن (19)، وبدأت الكنيسة البروتستانتية تهتم بالبعثات التبشيرية خارج حدودها.

أسباب إزدهار الإرساليات التبشيرية

في هذا القرن، رأينا إنتهاء العلاقة بين الدولة والكنيسة، والتي كانت سمة القرون الوسطى. كانت الدولة تخضع للكنيسة، والكنيسة تخضع للدولة- ولكن الآن تحرر كل طرف من الآخر، وأصبحت الكنيسة حرة في دولة حرة. وهذا بدوره جعل الكنيسة تلتفت إلى دورها الحقيقي؛ وهو قيادة المجتمع روحياً.

وبهذا الصدد نقول إن هذا هو الإتجاه الفكري في الدول المتحضرة، وهو فصل الدين عن الدولة : الكنيسة تتولى المهام الروحية للشعب، والدولة تحكم وتشّرع لفرض النظام في المجتمع- أو كما نقول "الدين لله والوطن للجميع". أما الخلط بين الوطنية والدين أو تبني الدولة لدين رسمي وتمييزه عن غيره من الأديان والعقائد، فهو رجوع إلى القرون الوسطى المظلمة.

أيضاً، كان للثورة الصناعية في أوربا أثر في النهضة التي تميزت بها البعثات التبشيرية: اختراع قوة البخار، سهل السفر واختصر المسافات0 وعليه، استطاع المرسلون السفر إلى مسافات بعيدة. كذلك، عصر اكتشافات الأراضي الجديدة، فتح المجال أمام الأوربيين للسفر إلى تلك الأراضي، وكان من ضمن من سافر منهم المرسلين.

أمر آخر ساعد على سفر الأوربيين إلى تلك البلاد، ألا وهو إلغاء تجارة العبيد في أفريقيا- فلم تعد الشعوب تخاف من الأجانب، لأنهم لم يأتوا ليخطفوا الناس. وهذا المناخ الذي يتسم بالترحيب (الحذر) لإستقبال الأجانب، ساعد المرسلون للسفر والكرازة خارج أوربا.

الأرساليات التبشيرية

صاحب العوامل السابقة، نهضة روحية في الكنيسة البروتستانتية، جعلها تدرك أهمية الكرازة بالإنجيل للخليقة كلها. إن الكرازة بالإنجيل لجميع الشعوب هو أحد المبادئ الأساسية التي أوصى بها السيد المسيح تلاميذه في جميع العصور. والتاريخ يشهد عن الكثيرين من أتباع المسيح، الذين في سبيل تنفيذ وصية السيد هذه، قد عانوا الألم والأضطهاد والتعذيب والموت.

وبدأ تنظيم العمل المرسلي في صورة جمعيات للكرازة في كثير من البلدان الأوربية وأمريكا، منها:

* جمعية الإرساليات المعمدانية بإنجلترا والتي تأسست بهدف نشر الإيمان المسيحي بين الوثنين. كان ذلك في سنة1792م، حيث اجتمع بعض الخدام المعمدانيين، وكان منهم "وليم كاري" مرسل الهند العظيم.
* جمعية المرسلين بلندن، والتي تكونت في سنة 1795 من المسيحين من طوائف متعددة، وكان هدفها أيضاً نشر الإنجيل بين الوثنيين (بغض النظر عن الاختلافات الطائفية). وتركز نشاطها في جزر البحار الجنوبية.
* جمعية المرسلين الأسكتلندية، التي تكونت في سنة 1796م، للعمل في منطقة قريبة من سيراليون.
* جمعية المرسلين الكنسية بإنجلترا، والتي تكونت في سنة 1799م، للعمل في منطقة أخرى قريبة من سيراليون.
* مجلس الإرساليات الأجنبية الأمريكي، الذي بعث بمرسلين إلى كلتكا بالهند سنة 1812م، حيث خدموا في كثير من جهات الشرق الأقصى

بالإضافة إلى الجمعيات التي تكونت، بدأ تطوير العمل المرسلي، فأهتم المرسلين بالتعليم؛ التعليم الأكاديمي. أيضاً، اهتم المرسلون بتعليم البنات في كثير من الدول التي تنكر عليهن هذا الحق. كما رأوا ضرورة الاهتمام بالطب والتمريض وكافة المجالات ذات الطابع الاجتماعي لخدمة الكرازة. كذلك، بدأ الاهتمام بالنساء كمرسلات. أيضاً، بدأ المرسلون في بذل جهود جدية لتكوين كنائس مستقلة في البلاد التي كرزوا فيها. واهتموا بتدريب وتعليم بعض المواطنين، لخلق قيادات تقوم بالعمل الروحي في بلادهم ولا تعتمد عليهم.

قصة رائعة

هكذا يصف كاتب كتاب " عشرون قرناً في موكب التاريخ" المرسلون الذين تركوا الأهل والوطن ونزحوا إلى مجاهل الأرض، وسطروا بدمائهم وتضحياتهم أبهر صفحات الجهاد في سبيل قضية رابحة.

كان " وليم كاري" أول مرسل مهّد الطريق إلى بلاد الهند، فقد أبحر اليها سنة 1793م. ثم " هنري مارتن" الذي قضى سنوات في ترجمة الإنجيل إلى اللغتين الهندستانية والفارسية. وفي سنة 1820م تأسست أول مدرسة لاهوتية في الهند على يد أسقف كلكتا " وليم ف. ميدلتون". وفي سنة 1851م، قُدر عدد المرسلين في البلاد بحوالي 600 وعدد المسيحيون الهنود بحوالي 91000.

**و**الصين التي لم تفتح أبوابها للأجانب أو للتجارة الأجنبية إلا سنة 1842م – شهدت أول مرسل أمريكي بروتستانتي سنة 1807م وهو روبرت موريسون (1782- 1834م). قال له صاحب السفينة التي أقلع عليها: "هل حقيقيةً تتوقع يا مستر موريسون أن تضع بصمة على وثنية الأمبراطورية الصينية العظيمة؟" أجابه:" لا ياسيدي، لكني أتوقع أن الله يفعل ذلك". بعده وصل إيليا بريدجمان سنة 1830م وآخرين. ثم وصل هدسون تايلور (1832- 1905م) اليها سنة 1853م، الذي بذل جهود جبارة لتنظيم العمل داخل الصين وأنشأ إرسالية الصين الداخلية.

أما بخصوص أفريقيا (القارة المظلمة) فقد بعثت " جمعية الكنيسة المرسلية" بمرسلين إلى سيراليون سنة 1804م، وتبعهم المعمدانيون في سنة 1811م. ولا ننسى " صموئيل أدجاي كروثر" الذي أُنقذ – في طفولته- من سفينة للعبيد. هذا، ذهب إلى نيجيريا سنة 1844م، حيث عمد أمه وأخواته اللواتي انفصل عنهم مدة ثلاثين سنة. ثم شرع في إعداد كتاب قواعد اللغة اليوروبية، وترجم أجزاء من الكتاب المقدس. بعدها، رُسم اسقفاً للنيجر، حيث أسس كنيسة كل خدامها من الأفارقة.

أيضاً لا ننسى " روبرت موفات" ( 1795- 1883م) الذي مكث وسط قبيلة بيشوانا مدة 48 سنة، وزرع عدة كنائس بأفريقيا. وكذلك " دافيد لفنجستون" الذي دُعي " أحد أعظم المرسلين وأكثرهم تأثرياً في تاريخ الجنس البشري" . وقد ذهب إلى أفريقيا سنة 1840م بتوجيه من روبرت موفات.

"وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت..." (عب11: 32) عن هؤلاء الأبطال الذين ذهبوا إلى بورما (شرق الهند)، واليابان، وجنوب الباسفيك، وكوريا، وأمريكا الجنوبية، والشرق الأوسط... الخ، " الذين بالإيمان قهروا ممالك..." ( عب11: 33)، بالكرازة بإنجيل السلام. هؤلاء "لم يكن العالم مستحقاً لهم..." (عب11: 38)، وربما لم يروا نتيجة تعب أيديهم، ولكننا نحن أبناء القرن الواحد والعشرون مدينون لهم بالكثير، فقد مهدوا الطريق أمامنا لنذهب ونكرز للخليقة كلها تطبيقاً لوصية السيد " اذهبوا للعالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل ".

**في السطور التالية، سوف نلقي الضوء على أربعة منهم وهم:**

* وليم كاري
* هنري مارتن
* دافيد لفنجستون
* هدسون تايلور

وليم كاري

كان شعاره " جرب أشياء عظيمة لأجل الله، انتظر أشياء عظيمة من الله". هو أول من كتب عن ضرورة التزام المسيحيين بحمل رسالة الإنجيل للعالم الوثني... وبالفعل أبحر وليم كاري (1761- 1834م) إلى الهند سنة 1793م. وهناك واجه صعوبات عدة: مقاومة الشركات التجارية للمرسلين، ومرض زوجته النفسي الذي لازمها طوال حياتها، وحماقة زميله الذي بدد أموال الإرسالية بحماقة في مشروعات لاضرورة لها.

ولكن في سنة 1799م، انضم إلى مرسلين، جاءا إلى "سيرامبور" مدينة بالقرب من كلتكا- وبدأ الثلاثة في وضع استراتيجية للعمل المرسلي، عبارة عن خمسة أهداف، منها: توزيع الكتاب المقدس باللغات المحلية، وتأسيس كنيسة بأسرع ما يمكن والتدريب المبكر لخدام الدين من الوطنيين. وهكذا، تم تأسيس كنيسة محلية، وتم طبع ترجمات الكتاب المقدس في ست لغات. وتأسست كلية سيرامبور سنة 1819م بهدف تثقيف الشباب الأسيوي المسيحي وآخرين في الآداب والعلوم الأوربية.

وقد كان كاري مبشراً ومترجماً وأستاذاً للغات الشرقية (في كلية كلتكا الحكومية) ويرجع اليه الفضل – بسبب اعتراضه واحتجاجه- في توقف عادة إحراق الأرامل الهنديات وهن أحياء، وكذلك تقديم الذبائح من الاطفال.وبعد أن رأى انتشار الإنجيل في جميع أرجاء الهند عن طريق مطبعته، مات سنة 1834م فقيراً لا يملك شيئاً بعد أن وهب كل ما يملك إلى الإرسالية.

هنري مارتن

كان هنري مارتن (1781- 1812م) أشهر المرسلين بعد وليم كاري، رغم أنه مات وهو يبلغ من العمر واحد وثلاثين عاماً! ويُعد أول مرسل حمل رسالة الإنجيل إلى العالم الإسلامي.

درس هنري مارتن في جامعة كمبردج، وكان متفوقاً، علاّمة في اللغات. وكان ينتظره في بلاده(انجلترا) مستقبلاً واعداً، ولكنه قرر أن يحترق في سبيل الله ( كما قال). ومن ثم، أبحر في شهر يوليه سنة 1805م إلى بلاد الهند.. وقد استغرقت رحلته الشاقة هذه تسعة أشهر، تعلم في أثناءها اللغة الهندية.

وصل إلى الهند سنة 1806م، وحالاً بدأ في ترجمة سفر أعمال الرسل وبعض أمثال السيد المسيح إلى اللغة الهندية (الأردية)، وقد أكمل الترجمة في فترة وجيزة. أيضاً، أخذ يدرس اللغات : السنكريتية والفارسية والعربية. وقبل أن يكمل سنتين في بلاد الهند، أكمل ترجمة العهد الجديد كله إلى اللغة الأردية- والتي مازالت تستخدم حتى اليوم. كما أشرف على ترجمة العهد الجديد إلى اللغتين الفارسية والعربية التي كان يقوم بها أحد علماء المسلمين.

كان عليلاً، لا يحتمل حرارة الشمس اللافحة... وقد حاول أصدقاءه إقناعه بالراحة والاستجمام. وفي تلك الأثناء، جاءته الأنباء بأن العلماء الذين عرض عليهم ترجمة الإنجيل بالفارسية، لم يقرروا نشرها بسبب لغتها الفصحى وكثرة المصطلحات العربية فيها. وعليه، عزم على السفر إلى بلاد فارس وبلاد العرب- وكانت رحلة شاقة؛ بدأت بحرارة الجو الشديد ثم انقلب الجو إلى برد قارص. كان ذلك سنة 1811م، عندما بدأ رحلته تاركاً الهند وراءه.

وصل إلى "شيراز" بإيران، ونزل ضيفاً على " جعفر على خان"، وشرع في تنقيح الترجمة، فأكملها في شهر فبراير سنة 1812م. وقد ذاع صيته أثناء المدة القصيرة التي قضاها في إيران ... فتوافد عليه كثيرون من أعيان المدينة؛ مسلمين وصوفيين ويهود، وذلك للتحاور معه في العقائد الدينية. كما دعاه البعض لإلقاء محاضرات عامة في المشاكل الدينية. وبسبب مرضه الشديد عزم مضطراً أن يرجع إلى إنجلترا، ولكن المرض لم يمهله طويلاً، فمات أثناء السفر- وهو لم يبرح حدود فارس- في أكتوبر سنة 1812م غريباً، ومحترقاً كما قال سابقاً.

دافيد لفنجستون

كتب عنه مؤلف كتاب " عشرون قرناً في موكب التاريخ" يقول: " وكان المرسلون المسيحيون قد دخلوا أفريقيا الجنوبية قبل الرحالة والمبشر العظيم " داود لفنجستون" بقليل، ولكن هو الذي شقّ طريقاً في قلب القارة المظلمة، ودعا زملاءه المسيحيين ليقتفوا خطواته، فسافروا وراءه إلى أبعد مما وصل، وراحوا يمهدون الطرقات، وينشرون الدعوة، وينشئون المدارس ومراكز التدريب، ويستميلون الناس إلى الله بدعواتهم وحياتهم، وبروح الولاء والمحبة لأهل أفريقيا".

ورغم أن دافيد لفنجستون(1813- 1873م) من أعظم المرسلين، إلا أنه أشتهر ككاتب وشاعر وعالم في اللغات وطبيب جغرافي. وكان في صباه مجتهداً، فكان يأخذ معه كتاباَ- وهو طفل – إلى المصنع الذي يعمل فيه 14 ساعة يومياَ، ويسنده أمامه إلى آلة النسيج التي يعمل عليها. وفي سنة 1840م، ذهب إلى أفريقيا بتشجيع من روبرت موفات- وفيما بعد تزوج لفنجستون من إبنة موفات.

وبصفته جغرافياَ، قام برحلتين عبر الصحراء "كالاهاري" واكتشف الشلالات العظمى وسماها باسم الملكة فيكتوريا (شلالات فيكتوريا) . كما عبر القارة (المظلمة) من الغرب إلى الشرق، مكتشفاً أراضي لم تقع عليها عين غيره. وكان يحتفظ بمذكرات علمية دقيقة أثناء رحلاته. أيضاً، كان يهتم بالأفريقيين، كارزاً لهم بنعمة المسيح الغنية. وعندما وقف أمام الجمع – تكريماً وتقديراً له بسبب جهوده- في جامعة كمبردج سنة 1857م، قال لهم:

"أرجو أن أوجه انتباهكم إلى أفريقيا، أعلم أني بعد سنوات قليلة سأقضي نحبي في تلك البلاد المفتوحة حالياً، والتي أرجو ألا تدعوها تغلق مرة أخر. أنا عائد لأفريقيا لأحاول شق طريق للتجارة والمسيحية. فهل تواصلون العمل الذي بدأته؟ أترك هذا لكم".

ولا نستطيع أن ننسى "هنري م. ستانلي" الصحفي الأمريكي، الذي جاء إلى أفريقيا ليبحث عن لفنجستون، عندما اعتقد الناس أنه فُقد. تقارير هذا الصحفي لصحيفته في نيويورك، هي التي عرفت الأمريكيين بدافيد لفنجستون فذاعت شهرته في أمريكا... وهكذا رأينا إرساليات كبيرة وصغيرة تتجه إلى أفريقيا.

وفي سنة 1873م، مات المرسل العظيم.. ودُفن قلبه في قلب أفريقيا بواسطة خدامه الأفريقيين، كما أُرسل جثمانه إلى إنجلترا ليدفن في وستمنستر آبي ( مدافن العظماء).

هدسون تايلور

نشأ هدسون تايلور (1832- 1905م) في بيت مسيحي متدين. كان أجداده الأوائل من أتباع جون وسلي، وأبوه خادماً علمانياً مشهوراً في بلدته وأمه إبنة لأحد قسوس الكنيسة. وقد اختبر هو نفسه حضور الله في حياته بقوة... وقرر أن يعطي حياته لله، ويذهب إلى الصين ليكرز بالإنجيل.

لذا، ذهب ليتعلم الطب عند أحد الأطباء، ثم ذهب إلى لندن ليتعلم الطب في أحد المستشفيات... وفجأة جاءته منحة للذهاب إلى الصين، فسافر إلى هناك في رحلة شاقة ووصل إلى شنغهاي في سنة 1854م. كانت هذه أول مرة يذهب فيها إلى الصين، ولم يكن يبلغ من العمر أكثر من واحد وعشرون سنة.

ولكن بعد سنوات من العمل هناك تحت رعاية جمعية مرسلية بريطانية صغيرة، استقال ورجع إلى إنجلترا- ربما بسبب عدم وجود نظام في عمل هذه الجمعية أو بسبب صحته الضعيفة.

في ذلك الوقت، كانت المراكز التبشيرية في الصين موجودة فقط في المواني الساحلية، ولم يكن داخل الصين أي مراكز تبشيرية. وعليه، صمم على أن يصل إلى كل مقاطعات الصين والبالغة إحدى عشر مقاطعة بالإضافة إلى منغوليا. وحالاً، ذهب إلى البنك وفتح حساباً بمبلغ عشرة جنيهات باسم "إرسالية الصين الداخلية". وكان قد وضع كتاب عن الصين باسم " حاجة الصين الروحية ومتطلباتها"، فيه يشرح ضرورة الكرازة لحوالي 400 مليون صيني؛ لهم كل الحق في سماع رسالة الإنجيل. وأنه على مسيحي العالم واجب والتزام بتنفيذ وصية المسيح وتبشير العالم كله بالإنجيل.

أيضاً، تم الإتفاق على ستة مبادئ تحكم إرسالية الصين الداخلية وهي:

* لامانع من أن يكون العاملون بالإرسالية من أي طائفة مسيحية
* قبول المرسلين من دون تدريب جامعي.
* يكون مركز الإرسالية في الصين وليس إنجلترا.
* يرتدي المرسلون الزي الصيني ويأكلون بالإعواد ويسكنون في بيوت على النمط الصيني.
* الغرض الأساسي للإرسالية هو الكرازة بالإنجيل في كل أنحاء الصين.
* بناء الكنائس وتدريب القادة يمكن أن يتم فيما بعد.

وفي سنة 1866م، أبحر تايلور مع زوجته وأولاده وعدد من المرسلين متجهين إلى الصين. وبداءوا ينتشرون في داخل الصين، حتى جاء عام 1882م وقد زاروا جميع المقاطعات. وقد تعرض المرسلون إلى مضايقات كثيرة: كراهية وسلب ونهب وإصابات والموت أيضاً، وذلك أثناء تبشيرهم بالمسيح، ولكن العمل كان يتقدم وينجح. وعند نهاية القرن التاسع عشر، كان مجموع المرسلين الأجانب البروتستانت بالبلاد حوالي 15000، وعدد الوطنيين الأعضاء في الكنائس حوالي 80.000 شخص

وقد تعرض هدسون تايلور للكثير من المتاعب الصحية. وقبل وفاته ذهب إلى سويسرا للعلاج، ثم عاد إلى الصين وهو يبلغ من العمر 73سنة. وبعد فترة قصيرة، انتقل إلى السماء بعد أن جاهد كثيراً في نشر نور الإنجيل في الصين.

**المراجع:**

1. تاريخ الكنيسة (5) للدكتور القس جون لوريمر- دار الثقافة.
2. عشرون قرناً في موكب التاريخ لحبيب سعيد- دار الشرق والغرب.
3. هدسون تايلور في قلب الصين بقلم جانيت وجيوف بنج- مكتبة المنار.
4. رواد النهضة بقلم تشارلز كلارك- لجنة خلاص النفوس للنشر.
5. مختصر تاريخ الكنيسة لأندرو ملر- مكتبة الأخوة.